الفصل الرابع

الجن فى المعتقد السحرى الشعبى

أولا ــ الجن : طبيعتهم وخصائصهم :

يحفل التراث الشعبى بكثير من التفاصيل الخاصة بالتصور الشعبى للجن سنحاول تقصيها على الصفحات التالية • يفترض المعتقد الشعبى أن الجن أسبق خلقا من بنى آدم(١) • وهى ــ كما يرى ذلك التراث القرآنى أيضا ــ كائنات وسطى بين الانسان والملائكة ، مخلوقة من النار • وبينما لا يهتم الانسان العادى بتقليب هذه المعلومات على جوانبها المختلفة : اذ كيف يمكن أن يتفق ذلك وتشكل الجنى بأشكال مختلفة أو تعامله مع الناس ، نجد أصحاب المدونات الشعبية مثل صاحب كتاب « آكام المرجان فى غرائب الاخبار وأحكام الجان »(٢) يهتمون بتقليب هذه الحقيقة وتبريرها وتقديم التفسيرات التى لا تخلو من طرافة(٣) •

---

(١) قارن : بدر الدين ابو عبد الله محمد الشبلى (المتوفى سنة ٧٦٩ هـ): « آكام المرجان فى غرائب الاخبار وأحكام الجان » ، مطبعة محمد على صبيح ، ١٣٧٦ هـ ، ص ٩ .

(٢) واذا استشهدنا هنا ببعض فقرات من كتاب آكام المرجان او غيره من المدونات (مثلا حكايات الف ليلة وليلة) فليس ذلك بدافع من استقصاء صورة الجن فى المدونات او التراث المكتوب ، فهذا مكانه فقرة أخرى . انما نحن هنا بصدد استعراض الصورة فى المعتقد « الخرافى » الشعبى الحى ولا نعرض لتلك الشواهد المدونة الا اذا كانت للتدليل والتأكيد على بعض جوانب الصورة الحية المتداولة التى نهتم بها هنا . ففى كثير من الاحوال يكون لبعض عناصر (موتيفات) الصورة الشعبية الحية المتداولة جذور او انعكاسات فى التراث المدون . ويحسن فى تلك الاحوال الاشارة الى تلك الشواهد دون ما حاجة الى مناقشتها فى كل مرة .

(٣) فيقول الشبلى عن طبيعة الجن : « انهم وان خلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم النارى بل قد استحالوا عنه بالاكل والشرب والتوالد إلخ

وتستطيع الجن أن تتشكل بأشكال كثيرة • فيمكن أن تأخذ شكل الآدميين ، والكلاب ، والحمير ، والقطط •• الخ • كما أنها تستطيع اخفاء نفسها عن أنظار البشر عندما تريد • ولكنها مع ذلك : تأكل ، وتشرب ، وتحمل ، وتلد كالبشر ، بل انها تموت ، ولكن بعد حياة بضع مئات من السنين(٤) •

ولو شئنا أن نعرض بالتفصيل للتصور الشعبى لحياة هذه العناصر الخارقة للطبيعة لما وجدنا خيرا من العبارة التى أوردتها الدكتورة سهير القلماوى فى كلامها عن العفاريت فى ألف ليلة وليلة ، اذ تقول : « أما حياة هذه العناصر الخارقة للطبيعة فحياة آدمية محضة فى كل تفاصيلها • كل ما يميزها عن الانسان هو تلك القوى الخارقة ، أما أكلها ومسكنها وعواطفها وعاداتها ، حتى العادات التفصيلية التى نراها فى حفلات الزواج مثلا ، فهذه كلها لم يستطع خيال القاص أكثر من أن ينقلها نقلا كما هى من الارض الى السماء ••• »(٥) ولنطوف فيما يلى مع المعتقد الشعبى محاولين الاستيثاق من صدق هذا الحكم الذى قدمنا به كلامنا عن صورة حياة الجن فى المعتقد الشعبى •

ففيما يتعلق بهيئة الجن نسمع أنهم سود حفاة مشققو الاعقاب

=والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابى بذلك . على أنا نقول ان الذى خلق من نار هو أبو الجن كما خلق آدم ابو الانس من تراب . وأما كل واحد من الجن غير أبيهم ليس مخلوقا من النار ، كما أن كل واحد من بنى آدم ليس مخلوقا من تراب . الخ » ويدلل على ذلك بحكاية عن النبى مع شيطان عرض له فى صلاته ثم خنقه حتى لعابه أو برد لسانه « فبرد لسان الشيطان ولعابه دليل على انه انتقل عن العنصر النارى » . الشبلى ، آكام المرجان ، ص ص ٦٦ — ٦٧ .

(٤) قارن تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ . وقد عقد صاحب آكام المرجان فصلا خاصا للكلام عن « هل كان الجن كلهم منظرون » (ص ١٥٢ وما بعدها) خلاصته ان بعضهم لا يموت ، أى انهم ينظرون مع ابليس الى يوم القيامة .

(٥) انظر سهير القلماوى : الف ليلة وليلة (مكتبة الدراسات الادبية — ٦) دار المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٠ .

وينبت على أجسادهم شعر طويل(٦) •

وقد أكدنا من قبل أن الجن قادرون على التشكل بصـــور شـــتى ، فيتصورون فى صور الحيات والعقارب وفى صور الابل والبقـــر ، والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم • ومن أكثر الصور التى يعتقد أن الجن يتشكلون بها هى الكلاب والقطط • فيزعم أن الكلاب كلها جان ، أو بعض منها له خصائص معينة مثل :

ـ الكلاب المعيبة •

ـ والكلاب الشديدة السواد •

كما سمعنا كثيرا أن الجن تتشكل بصورة القط الاسود لان السواد فى رأى صاحب آكام المرجان : « أجمع للقوى الشيطانية من غيره(٧) • ومن أندر الصور التى سمعنا أن الجن تتشكل بها صورة الظباء(٨) •

كما أشار بادويك الى أن هناك عديدا من القصص التى تشير الى أن الغول قد يعيش متخذا هيئـــة البشر ، ويكون أسرة ، ويكون هـــو وهم معروفين لكل الناس • فتحكى احدى هذه القصص عن غول كان يمص كل يوم دم احدى الفتيات من اصبعها • ولما انتبه اخوة الفتاة الى ما يحدث لها ، كمنوا لهذا الغول الرجل ، وقتلوه ، وقطعوا جثته قطعا صـــغيرة ، وباعوها لزوجته وأولاده على أنه سمك للعشاء • وعندما بدأت الاسرة تطهو هذا السمك ، تقول القصة : « ••• البنت الصغيرة وجدت صباع

---

(٦) تشقيق الاعقاب من أشهر صفات الجن التى سمعناها فى طفولتنا ، حيث كانت تشبه قدم الجنى بقدم الماعز المشققة . قارن كذلك آكام المرجان ص ٧٥ وص ١٠١ .

(٧) قارن مواضع كثيرة من آكام المرجان السابق الاشارة اليه ، خاصة ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ... الخ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١١٩ وما بعدها . ونجد هذا بصفة خاصة فى القصص الشعبى ، وبالذات السير ذات المناظر البدوية .

أبوها وقالت لأمها : صباع أبويا هنا يا أمه (يا أمى) »(٩) .

كذلك أورد بادويك حكاية سجلها بنفسه عن الجنى الذى يظهر فى صورة انسان ، ولكنه يختفى كعمود من نار :

« كان فيه واحد عايز يسرق عنب عاص نفسه طين ونزل لكرم العنب وسرق كثير قوى وطلع من باب الكرم والعنب فى مقطف . وهو ماشى فى السكة وجد راجل قاعد وماسك سيجارة فى ايده . قام قال الراجل للحرامى : تعالى يا جدع . فلما راح له قام سأله : ايه ده اللى فى المقطف ؟ قام قال له الحرامى : ده عنب . وخاف كثير . وقال له الراجل اللى هو عفريت : عاوز أقسم معاك . ومد ايده ومسك الحرامى من أيده . قام الحرامى وجد ايد العفريت زى الشوك ، زى القنفد . فراح العفريت يقسم العنب لحد ما خلى الحرامى على عدد واحد . فزعل هوه وتنه ماشى ، ولكن بعد ما مشى شويه قام رجع علشان يضرب اللى خد منه العنب . ولما خلى بينه وبين النفر العفريت زى متر ، صار الشيطان نار وطلع للسما » (ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من المقال المشار اليه) .

وهناك أيضا طائفة من الحكايات التى يتصور فيها العفريت فى هيئة انسان يتميز بعيون من نار تلمع متوهجة فى الظلام :

« واحد فلاح من منوف كبير السن شويه قال لى : أنا شفت مرة واحد من الجان وكان الكيفية كده . كت (كنت) أمشى فى أواخر الليل للغيط بتاعى ، ولما فت على ساقية مهجورة فى الطريق ، شفت عند الساقية فى ظلام الليل نار ترتفع مرة وتنخفض مرة . وخفت شوية ولكن قربت من محل النار ولقيت شكل انسان ، والنار دى هى عينيه . قام الانسان اللى هو عفريت قال لى : عاوز منى ايه ؟ قمت أنا فى غاية الخوف قلت له : أنت مين ؟ فقال لى الجن : ما تسألش . وبعد كده خدنى وخللانى أمشى

(9) Padwick; op. cit; p. 432.

معاه لحد ما لففنى حوالين الســاقية وكان عاوز يغــدر بى ويوقعنى فى الساقية .. ورمانى فى الترعة ومكانش فيها ميه كتير . وفات واحد قرب الصباح وطلعنى من الترعة » . (ص ٤٢٥ من مقال بادويك) .

أما عن أماكن اقامة الجن أو تواجــدهم فنرى أنه لمــا كانت الجن مخلوقة من النار ، كان من الطبيعى أن تفضل النار كأماكن لتواجدها . ولذلك يجب على الانسان عندما يلقى شيئا فى النار أن يدعوا « بسم الله الرحمن الرحيم » . ويرى المعتقــد الشعبى أنه بذلك تتــاح للعفريت الموجود فى النار فرصة الهروب أثناء البسملة(١٠) .

الا أن المقر الرئيسى لتواجد الجن فى رأى المعتقد الشعبى المصرى ليس هــو النار ، وانما الارض . فالجن يعيشــون عادة تحت الارض . ولذلك يطلق عليهم فى الغــالب ــ من بين ما يطلق عليهم من أســماء ــ « اخواتنا اللى تحت الارض » أو « السفليون » . ولمــا كانت الجــان تعيش تحت الارض أساسا ، أصبح من المعقول أن تعتبر الناس الآبار ، والكهوف ، والاماكن الخربة من الاماكن التى يكثر تواجد الجن فيها ، اذ أنها تعتبر الى حد ما منافذ الى العالم السفلى ، كما أنهم يقطنون البلاد البعيدة ، وفيها عادة تكون ممالكهم .

وتظهر الجان فى جميع الاماكن المهجورة أو غير المطروقة : كالطرق الزراعية ، وفى الصحراء ، والبيوت الخربة ، والانهار ، والحمامات(١١) . كذلك توجد كثــيرا فى الاماكن النجســة « كالحمامات والحوش والمزابل

---

(10) W. Blackman; The fellahin of Upper-Egypt; London; 1927. p. 195.

وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ .

(١١) انظر رودلف وهاينريش كريس : « المعتقدات الشعبية فى البــلاد الاسلامية »

Kriss; R. und Kriss-Heinrich;. : Volksglaube in Bereich des Islam; 2 Bdes; Wiesbaden; 1960-1962; II; p. 15.

وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٤ .

والمقامين والمقابر »(١٢) .

ويلاحظ بادويك من واقع الحكايات التى جمعها من فلاحى المنوفية ما يؤكد اعتقاد الفلاحين المصريين أن الصحراء والظلام والاماكن الموحشة هي مساكن الجن أو أماكن ظهورهم للناس . ذلك أن الفلاح قد تعود على الحياة بين الناس فى أرض مأهولة . فهذا المعتقد يعبر عن نوع من الخوف الذى يحسه من الاراضى المقفرة ، وهو تعبير عن الخوف من المشى وحيدا سواء فى الظلام ، بل وحتى فى عز الظهيرة . فهو يخاف من الوحدة ومن الوحشة(١٣) .

وتعد السواقى المهجورة أشهر وأبرز الاماكن التى يعتقد الفلاح أن الجن تقيم فيها ، أو تتردد عليها . ويحكى بادويك عن صديق له من منوف درس ثماني سنوات فى الازهر ثم أربع سنوات بعده فى معهد المعلمين ، ولكنه قضى طفولته الاولى فى القرية بين الفلاحين . ويقول هذا الصديق لبادويك « اننى حتى اليوم عندما أمشى وسط الحقول وأصل الى قرب احدى السواقى المهجورة ، فاننى أرتجف من الخوف . فاذا كنت أسير وحيدا ليس برفقتى أحد ، فاننى أنتظر على الطريق الى أن يأتى أحد المارة لنعبر المكان معا ، والا فاننى لا أمر بالساقية المهجورة وحدى أبدا » . (بادويك ، ص ٤٣٣) .

ويحكى ذلك الشخص لبادويك الحكاية التالية لتفسير منشأ هذا الخوف من السواقى المهجورة :

---

(١٢) قارن الشبلى ، آكام المرجان ، ص ٢٥ و ص ١٠٧ .
وكذلك كريس ، المرجع السابق .

(١٣) من أمثال ذلك ما يحكيه بادويك عن الفتاة التى ظهر لها الجن وخطفها الى مقر اقامته فى الجبل :
« قابلها الغول فى نص السكة ، جه يعفر ويناف (كتبها المؤلف هكذا Jinaff وترجمها Snorting ، وهى تعنى اصدار صوت كالشخير أو الصهيل تعبيرا عن الازدراء او الغضب أو السخط) وقال لها : اكلك هنا والا اشيلك على قرونى وأوديكى الجبل (الصحراء) ؟ ... فشالها الغول على قرونه وخدها الجبل فى خصه وحطها فيه » ، بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

« ... لما كنت ولد صغير بين الفلاحين كانت الناس الكبار من الرجال والنساء يقولون لى : اوعى تروح عند الساقية والبير دى • قلت لهم : ليه ، قاموا قالوا علشان فيه هناك عفاريت ، ما يصحش (لا يصح) تروح لوحدك ، ان كان فيه اثنين والا ثلاثة ويا بعض ما يظهروش • ولكن ان كان الواحد يروح لوحده يظهروا له فى شكل قطة ولا زى كده • ويكبر لحد ما رجليه على الارض وراسه فى السما • ويتوهك ويخطفك ويرفعك فى الهوا وبعدين يرميك فى البير • ويوم من الايام رحت البلد اللى هى قريبة من البير لقيت كل النسوان بيصوتوا (يولولن) • قالوا لى ان محمد بن فلان كان الجان وقعوه فى البير المسكونة وهوه بره بالليل • وكانت صحته عال ومكانش سكران ولا كان حد حسده ورماه فى البير ، ولا سبب لتتويهه وسقوطه فى البير • ورحت محل البير لقيت زحمة كبيرة وجنته (جثة) الراجل فى البير • وبعدين بنوا سور حوالين المحل ، ولكن بنوه واطى وطلعت جاموسة فوق السور ولقيوها ميتة فى البير • (بادويك، المرجع السابق ، ص ص ٤٣٣ — ٤٣٤) •

وتعد الاماكن والبيوت الخربة وغير المسكونة من الاماكن التى يتواجد فيها الجن • وقد حكى أحد الفلاحين الموسرين المتدينين من منوف لبادويك حكاية تلقى الضوء على هذه النقطة :

« دخلت بيت وقت الظهر مافهش (ليس فيه) سكان والبيت قديم • ودخلت لوحدى فى أوضة (حجرة) مظلمة ، وحسيت بحركة فى الاوضة ، ولكن ما شفتش حاجة • بعدين جت حاجة شالتنى لفوق ونزلتنى تحت • ولما شفت كده ، الا وصوت بيكلمنى وينادينى باسمى • فوقعت على الارض ، وبقيت راقد لما جت الناس خدونى وجابونى البيت ، وقعدت تلات أيام عيان » • (بادويك ، ص ٤٣٤) •

ولكن ليس من الضرورى أن يكون البيت خربا لكى يكون مسكنا للجن ، وانما يكفى أن يكون المكان مظلما ، ولذلك من الحكمة ألا ينتقل المرء داخل الغرف المظلمة ليلا الا ومعه ضوء (مصباح أو شمعة أو غير ذلك) .

ويروى بادويك الحكاية التالية نقلا عن أحد الفلاحين :

« كانت فيه واحدة ست دخلت مرة أوضة (حجرة) فى الضلمة (الظلام) ولقيت أربعين ولد لابسين هدوم بيضا وطرابيش وهى خافت خالص . قالوا لها ما تخافيش أبدا . اذا ما قولتيش سرنا لحد ؛ احنا حانديكى بكل (كل ؟) طلباتك . ومن الوقت ده ابتدت تطلب كل احتياجاتها ؛ فصارت تغنى بسرعة وجوزها استغرب جدا ، وحب يعرف الفلوس دى منين ، وهى مرضيتش تقوله . بعدين هو شكك (شك) فيها وألزمها (أجبرها أن تخبره حقيقة غناها) . ومن اليوم اللى التزمت تقول السر كسحوها وتركوها وراح الغنى وكل حاجة » . (بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥) .

أما عن أماكن تواجدهم داخل البيت فتفضل الفرن والمرحاض . ونحن هنا بصدد نوع معين من أنواع الجن الذين يعرفهم المعتقد الشعبى جيدا وسنتحدث عنهم بالتفصيل فى فقرة تالية ، وأعنى العمار . ويلخص لنا صاحب آكام المرجان الموقف فى كلماته : « ما من أهل بيت من المسلمين الا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين . اذا وضع غذاؤهم فتغذوا معهم واذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم . يدفع الله بهم عنهم »(١٤) .

كذلك تعتبر المقابر الفرعونية والاماكن المظلمة داخل المعابد القديمة مأوى للجان . ونذكر فى هذا الصدد قصة وليم لين عدم استطاعته اقناع

---

(١٤) قارن فيما يلى من هذا الفصل . وكذلك آكام المرجان ، ص ٢٤ . ونلاحظ هنا النص على أن عمار المسلمين من الجن المسلمين . وان كنا لا ندرى هل عمار الديانات الاخرى من نفس ديانات أصحابها . ؟

خادمه بمرافقته الى دخول الهرم الاكبر لانه كان يخاف على نفسه من العفاريت • ويرى لين أن كثيرا من المصريين — من بينهم ابن اياس كما نعلم —(١٥) ينسبون بناء الاهرامات وغيرها من الآثار الفرعونية الضخمة لجان بن جان وخدمه • لانهم كانوا يعتقدون أن مثل هذه المبانى الضخمة لا يمكن أن تكون من صنع يد البشر(١٦) • ويترتب على هذا بطبيعة الحال عدم ترحيب الفلاح بالخروج الى الاماكن المهجورة وحده ليلا • كما يترتب على المعتقدات السابقة ممارسات يتحتم الالتزام بها والحرص عليها : خاصة بالفرن والمرحاض فى البيت ، وخاصة كذلك بالاحتراس عند القاء شىء على الارض ، وبالذات الماء •• الخ(١٧) •

ونأتى فيما يلى على عجل على بعض خصائص الجن وسماتهم الاخرى • ومن هذا موضوع اللغات التى تتكلمها الجن • فعلى الرغم من أنه ورد فى أكثر من شاهد مما بين أيدينا أنهم يتكلمون لغات غير مفهومة أو معروفة لنا ، الا أن صاحب آكام المرجان مثلا يذكر كلاما وحوارا كثيرا باللغة العربية • بل وينقل عنهم كثيرا من أبيات الشعر(١٨) • ونذكر فى هذا الصدد الحكايات الكثيرة التى سمعناها فى طفولتنا ولازالت متداولة عن أشخاص نعرفهم حاوروا الجن عندما ظهروا لهم فى الليل على هيئة قطة أو فى غيرها من الصور • ولكن نسمع مع ذلك عن نفر مخصوص من الناس ممن يعرف لغة الجن ، وخاصة أولئك الذين يقال عنهم أنهم

---

(١٥) انظر : محمد بن احمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ؛ ٥ — مجلدات ، مطبعة بولاق ١٣١١ — ١٣١٨ هـ ، الفصول الاولى من الجزء الاول .

(١٦) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون . شمائلهم وعاداتهم (الترجمة العربية بقلم عدلى طاهر نور) ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٥٩ . وكذلك فينكلر ، أرواح الموتى التى تلبس الانسان ، ص ١٠ ، وتسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٤ وما بعدها .

(١٧) انظر ، تسبندن ، المرجع السابق ص ص ٣ — ٤ ، وبلاكمان المرجع السابق ؛ ص ١٥ وما بعدها .

(١٨) الشبلى ، آكام المرجان ، ص ١٤٥ وما بعدها ومواضع أخرى كثيرة بالكتاب .

« مؤاخين الجن » • ومن خصائص الجن التى أكدت عليها الحكايات كثيرا وتفنن المعتقد الشعبى فى ابرازها قدرتهم على قطع المسافات الطويلة فى زمن قصير : ولعلها ترتكز فى الواقع الى الآية التى وردت فى سورة النمل بصدد رواية قصة سليمان مع ملكة سبأ(١٩) • هذا علاوة على عدد لا يكاد يقع تحت حصر من الصفات التى يمكن أن تطيل هذه القائمة بلا حدود(٢٠) • ومن الشائع كذلك فى المعتقد الشعبى ــ الصادر عن أصول دينية رسمية ــ الاعتقاد بحبس الجن طوال شهر رمضان • وفيه أحاديث كثيرة واردة • يهمنا هنا ما يرتبط بهذا المعتقد من ممارسات شعبية منها : رش النساء الملح فى ليلة العيد (والليالى الاخيرة من رمضان) داخل غرف البيت للحيلولة بين الجان وبين رجوعهم الى المنزل(٢١) •

على أننا نلاحظ برغم العلاقات القوية بين الجن والطبيعة ، أن العفاريت فى مصر لا يمكن أن تعتبر أرواحا طبيعية بالدرجة الاولى • اذ تدل معظم الشواهد المتاحة لنا حاليا على انها تعتبر أرواحا للموتى • فلكل انسان ــ الى جانب روحه الخاصة ــ عفريتا (أو أخا أو قرينا •• الخ ذلك من أسماء) • تماما كما كان لدى المصرى القديم « الكا » • وبموت الانسان ينفصل هذا العفريت أيضا عن جسده • وهذا هو ما يحدث بالنسبة للحيوانات أيضا • وبذلك استطاعت الفكرة الاصلية عن أرواح الموتى أن تتمثل فى فكرة العفاريت ، بحيث أن فكرة العفاريت تدين بوجودها الى حد ما الى فكرة أرواح الموتى • ولذلك تكثر الحواديت الدائرة حول العفاريت(٢٢) •

---

(١٩) تقول الآية رقم ٣٩ : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين » . انظر كذلك تعليقا طريفا وتحليلا لهذه الخاصية فى آكام المرجان ، ص ١٣٩ .

(٢٠) قارن من بين مصادر أخرى كثيرة : آكام المرجان ، ص ص ١٠٢ ــ ١٠٣ ، وتسبندن ، المرجع السابق ص ٥ .

(٢١) تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٧ وكذلك وليم لين ، المصريون المحدثون ، ص ١٥٩ .

(٢٢) انظر كذلك كريس ، المرجع السابق ص ١٦ من المجلد الثانى .

والملاحظ أن عفاريت الناس الذين ماتوا فى حوادث تحوم قريبا من المكان الذى وقعت فيـــه الوفاة • ويحكى الكثـــيرون أنهم رأوها(٢٣) • ويقررون انها تظهر (كأرواح موتى) فى هيئة بيضـــاء ، وتظـــل تكبـــر باستمرار ، أو صورة كلاب أو قطط • ويشـــير كريس Kriss الى أن المعتقد الشعبى يميز هنا مرة أخرى بين جن خيرة وجن شريرة • فأرواح الموتى ميتة غير طبيعيـــة ، وكذلك أرواح فئات أخرى من الناس ، مثـــل النساء اللائى متن فى أثناء الوضع ، تكون ذات طبيعـــة أميل الى الشر • أما أرواح الموتى من الاولياء فتعتبر رسل خير وأمل ، وهى تظهر التقديس — على نحو أو آخر — لاضرحة هؤلاء الاولياء(٢٤) •

أما الجن التى تعيش فى النهر وفى المجارى المائية فهى جميعا عبارة عن عفاريت غرقى • ولذلك لا يحسن اغاثة الغريق ، اذ ما جـــدوى ذلك طالما أن العفريت يجذبه الى أسفل ، وهو الاقوى على أية حال(٢٥) •

ثانيا — أنواع الجن فى المعتقد الشعبى :

ربما كان من الافضل أن نعرض فى بداية هذه الفقرة لملاحظة تتصل بموضوع الانواع : هل هذه الانواع التى سنخصص الحديث عنها هى أنواع حقا — أى مختلفة نوعا ، أما انها مجرد تسميات مختلفـــة لشىء واحد ؟ ولعله يمكننا أن نحسم هذه المشكلة لو أوضحنا أنها يمـــكن أن تعتبر جميعا نوعا واحدا من حيث هى مخلوقات غيبية ، غير مادية ، من

---

(٢٣) ولهذا السبب يعتبر من الامور ذات الاهميـــة الحيوية أن تستكمل اجراءات الاعداد والدفن للميت على الوجه الاسلم ، حتى تهـــدأ روح الميت . قارن بلاكمان ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٢٤) انظر كريس ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ص ١٦ . وبالنسبة لارواح الموتى من الاولياء فانظر المجلد الاول الذى يدور حول موضوع الاولياء، وكذلك

H. Winkler; Die reitenden Geister der Toten; pp. 9-11.

(ارواح الموتى التى تلبس الانسان) ، وتسبندن ، المرجـــع الســـابق ص ص ٥ — ٦ .

(٢٥) انظر بلاكمان ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

طبقة غير طبقة البشر ، وغير طبقة الملائكة ، وانها على خلاف الملائكة مثلا — التى تحيا فى تسبيح ربها وتنفيذ أوامره — ذات صلة أوثق بحياة الناس ورابطة أقوى بجوانب حياتهم المختلفة • من هذه الناحية يمكن أن تعتبر هذه الانواع نوعا واحدا • ولكننا يمكن كذلك — واذا أردنا تحرى الدقة — أن نعتبر هذه المسميات المختلفة دلالة على أنواع مختلفة، من حيث أن لكل واحد منها بعض الخصائص الاساسية التى تميزه عن غيره • فالغول يتخذ عادة شكلا أو أشكالا خاصة به ، ولا يمكن أن نطلق على اسم الروح أو « السيد » الذى يلبس المريض فى الزار اسم غول ، ولا شيطان • كما لا يمكن أن نقول أن المارد يسكن معنا فى المنزل أو فى مكان ما منه • فللمارد مكان وصفات خاصة ، ولسكان المنازل من الجان صفات وأسماء أخرى •• الخ على نحو ما سيتضح من مناقشتنا فيما بعد •

هذا ويلاحظ بادويك فى مقاله عن الجن والغول أنه قد ضمن عنوان المقال هذين النوعين مع أن التراث الرسمى يميز بينهما تمييزا دقيقا • فالجن يحتلون مكانة أرقى من الغول وغيره من الكائنات فوق الطبيعية فى التراث الاسلامى • أما الغول فلا يعدو كونه وحشا أو كائنا مفترسا ، أبعد ما يكون عن أن يتصرف بصفات شخصية ، أو يعرف التدين أو غيره• ومع ذلك — يستطرد بادويك — أن الحكايات الشعبية التى جمعها من المنوفية عن الجن والغيلان وما الى ذلك لا تميز تمييزا دقيقا بينهما ، وفى أحيان أخرى لا تميز على الاطلاق بين الجن وغيره من الكائنات فوق الطبيعية • ويكاد التراث الشعبى الحى يجمع فى فئة واحدة الانواع التالية دون تمييز بينهما : الشياطين ، الجان ، المردة ، والغول •

ففى الحكايات الشعبية تلعب تلك الكائنات أدوارا متبادلة ، بمعنى أن بطولة الحكاية الواحدة يمكن أن تلعبها أم الصبيان فى احدى الروايات ، ويلعبها جن فى رواية ثانية ، أو عفريت فى رواية ثالثة ••• وهكذا • وجميعهم يحملون نفس السمات والخصائص ويسلكون سلوكا متشابها ، وأحيانا متماثلا تماما • ولذلك فانه يقرر أن محاولة اقامة حدود فاصلة بين هذا النوع أو ذاك ، أو الفصل بين تلك

الفئة والاخرى عمليـــة لا تتفق والواقع القـــائم فى العقلية الشـــعبية ولا يوجد دليل يؤيدها من التراث المتداول بين الناس •

ويشير بادويك الى بعد آخر على جانب كبير من الاهمية ، وهـــو التبادل والتفاعل القائم بين تلك الصور الشعبية الخالصة وبين مصادر التأثير الاخرى • اذ الملاحظ أن صورة تلك المخلوقات فى القـــرآن تختلف عن صورتها فى التراث الشعبى السائر ، كما يختلف كلاهما عن الصورة التى ترد بها تلك الكائنـــات فى حكايات ألف ليلة وليـــلة ، وجميـــع تلك المعلومات لا تتطابق تطابقا كاملا ، بل قد تختلف اختـــلافا كبـــيرا ، عن تصور الساحر الرسمى (المحترف) لتلك الكائنات فوق الطبيعية •

ومن المحتمل أن نصادف بعض الحكايات الشعبية أو التصـــورات الحية فى نفوس الناس فى الكائنات فوق الطبيعية التى قـــد تكون متأثرة بصورة الجن فى القرآن ، أو بتصوير رواة الليالى والسير الشعبية لهم وهكذا • وذلك عندما تكون هناك من الملابســـات والظروف ما أدى الى ابراز التأثير الرسمى على المعتقد الشـــعبى ، أو تأثر المأثور المتـــداول بتصورات السحرة الرسميين وهكذا • وفى جميع تلك الاحوال يتعين علينا أن نلاحظ أن التراث الشعبى المتداول عن الجن لا يقف كله على مستوى واحد ، وليس من طراز متماثل ، ولكنه يتراوح ما بين الشعبية الخالصة ـــ ان جاز هذا التعبير ـــ الى التأثر شـــبه الكامل بالتراث الرســـمى أو السحر الرسمى أو تصوير الرواة(٢٦) •

١ ـــ الجن والعفاريت :

لو ألقينا نظرة شاملة على كل ما تحت أيدينا من شواهد عن التمييز بين الجن والعفاريت ، لاتضح لنا انه لا يكاد يوجد بين الاثنين من فارق سوى أن الاسم الاول : الجن يطلق على الجن الخيرة أو الطيبـــة بصفة

(٢٦) انظر بادويك ، المرجع الســـابق ، ص ص ٤٢٢ ـــ ٤٢٣ ، وكذلك صفحة ٤٣٢ •

عامة ، بينما يطلق الاسم الآخر : العفاريت على الجن الشريرة المؤذية فحسب(٢٧) • ولا نجد بعد هذا التفريق العام أى تفاصيل أخرى يمكن أن نزيد الامر تحديدا • لذلك يتمتع اسم العفاريت كما يتصف اسم الجن بقدر كبير غير عادى من الشمول والعمومية وغموض الدلالة • ويتضح هذا الغموض لو قسناه على الدقة التى يمكن أن نحدد بها خصائص الغيلان أو « الاسياد » مثلا •

٢ ــ الشياطين :

نادرا ما يستخدم العامة اسم الشيطان للدلالة على الجن الكافرة أو الشريرة • فالاسم المستخدم هنا هو « عفريت » و « عفاريت »(٢٨) • فعفريت هو المقابل الشعبى للمفهوم الدينى (الرسمى) شيطان •

٣ ــ المارد :

المارد هو باجماع الشواهد التى تحت يدنا الشيطان العتى أو القوى ، أو هو فى التعبير الشعبى : « شر أنواع العفاريت »(٢٩) • ولا تذكر هذه الشواهد عدا هذا شيئا محددا عن صفاته أو قدراته • اللهم اشارة وردت عند أحمد أمين تقول عنه : « ويعتقدون انه يستطيع

---

(٢٧) انظر على سبيل المثال :
ــ آكام المرجان ، ص ٨ .
ــ وسهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ و ص ١٣٧ .
ــ وتسبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ .
ــ وكريس ، المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٥ .
ــ ووليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ و ص ١٥٩ من الترجمة العربية (وجميع أرقام الصفحات فيما بعد تشير الى الترجمة العربية) .
ــ سيد عبد الله حسين ، الجن ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ص ١٤ ــ ١٥ .

(٢٨) قارن وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ وما بعدها . وكذلك آكام المرجان ، ص ٧ . وسيد عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٩ وص ١٥ .

(٢٩) على حد تعبير أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٣٥٣ ، وكذلك سيد عبد الله . المرجع السابق ، ص ١٥ .

أن يطول الى ما لا نهاية ، ويقصر الى ما لا نهاية ، وأحيانا يتمدد فى الطريق بالليل ، فاذا قرأ أحد عليه شيئا من القرآن قتله »(٣٠) . والصفة الاخيرة ليست قاصرة على المردة ، وانما هى عامة فى كل أنواع الجن الشريرة على الاقل .

٤ — أرواح الموتى :

لا يستخدم المعتقد الشعبى هذا الاسم كما هو هنا . اذ يطلق على روح الميت اسم عفريت ، فالميت بعد أن يموت — مقتولا — « يطلع له عفريت » . مع ضرورة الانتباه الى فارق دقيق فى هذا الصدد . فروح الميت قبل أن يدفن يطلق عليها كما يطلق على روح الانسان الحى اسم « الروح » ، وهى لا تعرف باسم عفريت الا اذا عرضت للناس بعد دفن الجثة . كما لا يطلق اسم « عفريت » على روح الولى مثلا اذا ما تبدت للناس — فى صورة من الصور — بعد دفنه بوقت قصير أو طويل . وروح الرجل الطيب اذا ظهرت فى المنام لاحد الاحياء لا يقال لها عفريتا ، بل روح ، أو يقال ببساطة ان « فلانا قد ظهر لى » ، أو « زارنى الليلة » .. الخ .. فاسم العفريت مرتبط بمدلول غير طيب أو غير محبب على الاقل .

ويعرف المعتقد الشعبى كثيرا من الحكايات — التى تتمتع بتصديق كل من القائل والسامع — عن لقاءات مع العفاريت أو معلومات عنها ، وخاصة تلك الناجمة عن وفاة أحد الناس مقتولا أو غريقا أو محروقا .. الخ . صور الموت غير الطبيعى . ولنذكر مثلا الحكايات التى سمعناها ونسمعها عن الاماكن المسكونة التى تظهر فيها عفاريت لانه قتل فى هذا المكان أحد ... وهى قصص تلقى فى النفوس — وخاصة لدى الاطفال — رعبا هائلا(٣١) .

---

(٣٠) احمد أمين ، المرجع السابق .

(٣١) سرد وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ وما بعدها طرفا من هذه الحكايات . انظر كذلك احمد امين ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ وما بعدها .

٥ ـ الروح :

يمكن أن تستخدم كلمة « روح » للدلالة على أحد أنواع الجن التى تضر بالاطفال على وجه الخصوص ، وتسبب لهم البكاء المستمر ، أو غير ذلك من الاعراض. ويطلق على الطفل اسم «مرووح» أو «مريوح»(٣٢) . والروح بهذا المفهوم تقترب اقترابا كبيرا من شخصية « أم الصبيان » أو « القرينة » التى سنفصل الكلام عنها فيما بعد .

٦ ـ الغول :

الغول نوع من الجن الشرير ، يظهر فى العادة فى صورة حيوان أو وحش رهيب . وتسكن الغيلان المقابر وغيرها من الاماكن المنعزلة وتملؤها بالرعب والفزع . وهى تأكل الجثث كما تهاجم المارة فى مثل هذه الاماكن ، بهدف أكلهم أيضا . ومن ثم يمكن أن يعتبر اسم الغول فى حقيقة الامر مرادفا لأكل لحوم البشر(٣٣) . وينفرد أحمد أمين فى قاموسه بذكر نقطة خاصة لكيفية التغلب عليه وقهره . علاوة على تلاوة شىء من القرآن اذا واتت الانسان فى تلك اللحظة شجاعته وذاكرته . أعنى أنه « اذا كان مع الانسان سلاح وضربه به فانه يقتله ، فاذا ضربه ثانيه يحيا » . ولذلك اذا كان الضارب عارضا لا يثنى الضرب . والمألوف فى هذه الاشارة قدرة الحديد على اهلاك طبقة الجن بأنواعها . ومن ثم تذرع الناس بحمل الحديد أو ذكر الحديد عند الظن بتعرض الجن لهم أو توقع ذلك . والمشهور عن الغول ان الشرر يتطاير من عينيه اذا حدق فى الانسان(٣٤) .

---

(٣٢) قارن آكام المرجان ، ص ٨ .

(٣٣) قارن وليم لين ، المرجع السابق ، ص ٢٦٠ وتسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٣ ، وأحمد أمين ، المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣٤) من الآراء الغريبة فى الغيلان ما نطالعه عند صاحب آكام المرجان من انهم سحرة الجن ، القادرون على التشكل بالاشكال المختلفة . وهو يدعم هذا الرأى بحديث عن الرسول ، وببعض أقوال الصحابة . ولا حاجة بنا الى تتبع مفهومه هذا بجملة تفاصيله ، اذ أننا لا نصادف هذا التصور فى المعتقد الشعبى . انظر آكام المرجان ص ١٩ وما بعدها .

أما السلعوة فهى انثى الغول(٣٥) ، وهى تطلق فى اللسان الشعبى مجازا على الشديدة القبح ، كما يطلق الغول على كثير الاكل .

٧ ــ أرواح الزار (الاسياد) :

استهوت دراسة الزار عددا كبيرا من المستشرقين والمهتمين بدراسة المعتقدات الشعبية الاسلامية والافريقية . وليس هذا مقام التعرض لموضوع الزار بعناصره المختلفة من : كودية ، وأسياد ، ومرضى ، وطرق علاج ، وأناشيد ، وحفلات .. الخ . انما كل ما يهمنا هنا أن نشير الى ان اسم الاسياد هذا يطلق على الجن أو الكائنات الغيبية التى تلبس النساء وأحيانا الرجال ــ وتصيب أجسامهم ببعض العلل التى لا يمكن علاجها ــ عن طريق اخراجها من الجسم أو استرضائها ــ الا من خلال اقامة حفل أو حفلات زار طبقا لقواعد ومواصفات معينة تعرفها الممارسة الشعبية بالتفصيل . وربما كان من المفيد أن نقدم فيما يلى عرضا سريعا للفئات المختلفة ، أو الاجناس المتباينة ــ لهذه الاسياد من واقع العرض الممتاز الذى قدمه لنا الباحثان الالمانيان كريس فى كتابهما « المعتقدات الشعبية فى البلاد الاسلامية » حيث عقد فى الجزء الثانى من الكتاب فصلا خاصا تحدث فيه عن الزار ، وعن تجربتهما الشخصية فى مشاهدة وممارسة حفلات زار فى القاهرة(٣٦) .

يطلق على هذا النوع من الارواح أو الكائنات الغيبية أو العفاريت اسم « الأسياد » ، وكذلك على المفرد منها اسم « سلطان » . ويزعم بعض الناس أن عدد هؤلاء الاسياد ٦٦ سلطانا ، الا أن محاولات حصر

---

(٣٥) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣٦) فيما يتعلق بموضوع « الاسياد » انظر : أحمد أمين ، المرجع السابق ، مادتى أسياد وزار ، ص ص ٤٥ ــ ٤٧ ، وص ٢١٧ ، وكذلك تسبندن المرجع السابق ، ص ١٥ ، وفينكلر ، المرجع السابق ، ص ١٥ وما بعدها ، وبلاكمان ، المرجع السابق ، ص ص ١٦٥ ــ ١٦٨ ، وأخيرا كريس ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٤٠ وما بعدها ، خاصة ابتداء من ص ١٤٥ .

بعض الاسماء المتداولة تثبت أن هذا الرقم لا يمثل أكثر من دلالة رمزيه على الكثرة ، قريبا فى هذا من رقم الاسماء الحسنى التسعة والتسعين ، التى زادت الكتب المختلفة ــ دينية وسحرية ــ فيها زيادات وصلت حد المبالغة(٣٧) • ولا تستطيع أى كوديه أن تقدم لنا حصرا بأسماء هذه الاسياد ، فهى كما نرى متنوعة أشد التنوع • الا أن هناك فى مقابل هذا مجموعات (أو فئات) محددة تمام التحديد من السلاطين ، وهناك داخل كل مجموعة من هؤلاء طائفة أكثر أهمية من الاخرى ، وأكثر استخداما من سواها ، وهكذا • وهذا مما يجعل عملية تقسيمهم الى فئات بالغة الصعوبة لا تخلو من التعسف• ولعل من أبرز الصعوبات التى تكتنف عملية التصنيف هذه أن المعتقدات الدائرة حول الزار فى مصر تمثل الى حد ما مصفاة تجمعت فيها كثير من معتقدات الارواح : العربية ، والحبشية ، والافريقية الوسطى ، فتتداخل بذلك طبيعة وخصائص الاسياد المختلفين بدرجات متفاوتة • وقد استطاع الباحثان كريس ــ فى ضوء دراستهما ــ ان يلاحظ أن معظم الاسياد تمثل ــ علاوة على الشخصيات المسيحية والاسلامية ــ كائنات طبيعية (أرواحا طبيعية) • ويمكن على أى حال تقسيمها الى الفئات التالية : أسياد ذات أصل اقليمى ، وأخرى طبيعية ، وقبطية ، واسلامية ، ثم خامسة تنتمى الى طوائف مهنية معينة • وأخيرا طائفة ذات أسماء أعلام عادية ، ويدخل تحت هذه الفئة كل الاسياد التى لا تندرج بطبيعتها تحت أى من الطوائف الخمس السابقة •

ولن يسمح المقام بطبيعة الحال باستعراض مفصل لكل من هذه الفئات ، ولكننا نشير الى مكوناتها الفرعية على عجل :

١ ــ المجموعة الاقليمية وتضم : الارواح السودانية ، والحبشية ، والصعيدية ، والعربية ، والمغربية •

---

(٣٧) قارن : محمد الجوهرى : استخدام اسماء الله فى السحر فى المؤلفات المنسوبة للبونى (بالالمانية) بون ١٩٦٨ ، ص ١٦٦ وما بعدها .

٢ ــ مجموعة الارواح الطبيعية وتضم : سلطان الجن الاحمر (النارى) ، وسلطان البحرى ، والست سفينة ، والجبلاوى •• الخ ••

٣ ــ المجموعة القبطية وتضم : النصرانى أو سلطان الدير ، ومريم •• الخ ••

٤ ــ المجموعة الاسلامية وتضم : أسرة الرسول : على ، والحسين، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة • ثم بعض صحابته : كأبى بكر وغيره • وكذلك مشاهير الاولياء المصريين : أحمد البدوى ، وابراهيم الدسوقى ، والرفاعى ، والبيومى ، والقطب المتولى ، وأبى العلا ، والشافعى ، والليثى •• الخ •

٥ ــ أما عن ممثلى الطوائف المهنية المختلفة فنجد : الياورى بك ، وسلطان اللواء ، والعسكرى ، والضابط ، والحكيم باشا أو الحكيمباشى (الطبيب الكبير) •

٦ ــ أما الطبقة الاخيرة فتضم كما أشرنا أولئك الذين لا يندرجون تحت أى من المجموعات السابقة • سلطان روم نجدى ، وسلطان رينا ، والولاج ، وسلطان مامه •

٨ ــ القرينة :

لكل انسان ــ منذ مولده ــ قرين خاص علاوة على عفريته الخاص به • ويعرف بالنسبة للرجال باسم القرين، وبالنسبة للنساء باسم القرينة• وتختلف ألوان الاقران (أو القرناء) ــ فمنها الابيض ومنها الاسود تبعا للون بشرة صاحبها الانسان • كما تتنوع أفعالها بين الخير والشر ، تبعا لافعال الانسان • وهى باعتبارها قرينا للانسان تلاقى نفس المصير الذى يلاقيه • فاذا مرض الانسان مرض قرينه ، واذا تألمت عيناه مثلا تألمت عينا القرين ، وهكذا • واذا ما عالج الطبيب عينى الانسان المريضة ، تولى قرين الطبيب علاج عينى قرين الانسان المريض • ومن البديهى أن

يتزوج قرين الرجل بقرينة زوجته الانسية (مع فارق واحد هو أن القرينة لا تستطيع الانجاب • ومن هنا حسدها للمرأة الانسية وحقدها عليها كما سنرى فيما بعد) • واذا مات الانسان مات قرينه • فالتناظر كامل تماما ، كما هو الحال بالنسبة للقرين المصرى القديم أو « الكا »(٣٨) •

على أن هناك حالات أخرى لا يكون دور القرين فيها بمثل هذه السلبية ، اذ تمسك القرينة بزمام المبادأة • ويبدو ذلك بالنسبة لأم الصبيان ، أو التابعة — أو القرينة أيضا — التى يعرف المعتقد الشعبى الكثير عنها ، وعن أفعالها ، وكذلك عن طرق علاج أضرارها التى تنزلها بالانسان • وتظهر قرينة الام ليلا بالذات مدفوعة بدافع الحسد والغيرة (نظرا لانها لم توهب قدرة الام الانسية على الانجاب) اما لكى تقتل جنينها فى بطنها — بأن تضرب الحامل على بطنها — أو تهددها فى حملها ، أو حتى بعد أن يتم الوضع تهاجم الطفل وتسبب له أمراض الاطفال ، والضعف ، ونحولة الجسم • وفى مثل هذه الحالات التى تشعر الام أن مرض طفلها راجع الى اصابة القرينة له تلجأ الى الساحر ليكتب لها بعض الاشياء • وكتب السحر الرسمى مليئة بمئات من هذه الوصفات التى تناسب كل الظروف والامراض • وأبرزها وأشهرها جميعا — وهو ما يمكن كذلك للأم أن تشتريه جاهزا من السوق — السبع عهود السليمانية وهى عبارة عن عهد أخذه سيدنا سليمان على أم الصبيان هذه (أو القرينة أو التابعة أو ملكة الاقران) • وتقول الرواية ان سليمان قد أمسك ذات يوم بهذه السيدة ، ولم يخلصها من قبضته الا بعد أن أعطته هذا العهد ، ألا تمس أبدا الطفل الذى يحمل هذه العهود فى رقبته • وهناك علاوة على

---

(٣٨) عن القرينة او أم الصبيان انظر : احمد امين ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤ ، وآكام المرجان حيث تنسب للرسول محمد احاديث تؤكد وجود القرين وتحدد دوره على نحو قريب مما اشرنا اليه هنا ، ص ٢٦ وما بعدها . وتسبندن ، ص ١٣ وما بعدها ، وكريس ، المجلد الثانى ، ص ٢٢ وما بعدها . وأشمل من هذا جميعا واكثر اصالة الدراسة المونوجرافية التى عقدها الالمانى هانز فينكلر عن سليمان والقرينة :

H. Winkler; Salomo und die Karina; Stuttgart; 1931.

العهود أو كتابات السحر ممارسات شعبية أخرى عديدة للشفاء من أضرار أم الصبيان •

٩ ــ الأخت :

تعتبر الاخت من الشخصيات الخرافيـــة الغريبـــة الاخرى • فهى الاخرى تولد مع كل انسان • ومن اللافت للنظر أن الصورة المذكرة لهذه الشخصية (كما هو الحال بالنسبة للقرين) وأعنى « الاخ » لا وجود له فى المعتقد الشعبى • فالرجال اذن لهم « أخت » أيضا ، حتى الاولياء منهم • وهناك تطابق كامل بين الدور الذى تلعبه الأخت ، ودور القرينة ، بحيث أن الباحثين يميلون الى اعتبارهم تسميات مختلفة لنفس الشخصية التى يعرفها المعتقد الشعبى بصورتها التى حددناها فى الفقرة السابقة • وقد أوردت بلاكمان أحد الشواهد التى جمعتها والتى ظهرت فيها أخت أحـــد الأشخاص فى هيئة قطة(٣٩) •

١٠ ــ كائنات أخرى :

نتناول فى هذه الفقرة على عجل طائفة من المسميات التى تدخل بحكم خصائصها وطبيعتها فى فئة الجن فى نظر المعتقد الشعبى •

وأول هذه الكائنات بطبيعة الحال ابليس ، الذى يعتبر فى المعتقـــد الدينى الرسمى والشعبى على السواء أبو الجن • على أنه فى ضوء المعتقد القرآنى أيضا الذى يقسم الجن الى جن خيرة (أو مؤمنة) وأخرى شريرة، يكون ابليس أقرب الى زعامة الفئة الكافرة(٤٠) •

---

(٣٩) قارن تسبندن ، ص ١٥ ، وكذلك بلاكمان ص ٦٣ وما بعدها .

(٤٠) انظر : جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) : تلبيس ابليس ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ . وهو يعرض للمجالات والاساليب المختلفة التى يحاول بها ابليس الايقاع بالناس والتغرير بهم •

هناك بعد ذلك فئة « العمار » (والمفرد عامر) : وهم الجن الذين يسكنون مع الناس داخل بيوتهم • وهم كأرواح سفلية لا يسمحون للأرواح التى يستخدمها السحرة بدخول المنزل • ولذلك يسبق أداء كل عمل سحرى صيغة معينة لصرف العمار ، أى ابعادهم عن المكان • وبعد الانتهاء من « العمل » تتلى صيغة أخرى لاعادتهم الى مكانهم • وسوف نعود الى متابعة الكلام عن فئة العمار هؤلاء فى اطار استخدام الجن فى السحر الرسمى فى الفصل الخامس من هذا الباب •

هناك كذلك عدد كبير من « الشخصيات » التى تستخدم لتخويف الاطفال ، بعضها معروف بخصائصه العامة ، وغالبيتها تثير الرعب والهلع من مجرد ذكرها أمام الاطفال دون ما فكرة محددة واضحة عليها لا فى ذهن الآباء والاطفال •• ومن ثم يمكن الاعتقاد بأن دورها التربوى أخطر وأبعد أثرا من دورها كمعتقد شعبى بالمفهوم المعروف • من هذه الشخصيات :

« أبو رجل مسلوخة » : وهو فى ذهن الناس « عفريت » • يوصف — على حد تعبير أحمد أمين — « بانه مخلوق نصفه الاعلى كالانسان ، ونصفه الاسفل كالحمار ، وله ذنب وبفخذيه سلوخ فى الجلد يظهر منها لحمه الاحمر » • ومما يستخدم لتخويف الاطفال أيضا شخصيات « المزيرة » ، و « البعبع » و « السلعوة » ، وعفريت الليل •• الخ(٤١) • ولم تهتم الكتابات القليلة المتوفرة لدينا الآن بتقصى مختلف جوانب هذه الشخصيات، لا من حيث خصائصها ، ولا أصولها الثقافية • وهو ما يؤكد لنا من جديد أهمية التنظيم لعملية جمع علمية لتراثنا الشعبى بشتى جوانبه •

---

(٤١) يقول احمد امين ان هذا الاسم اطلق فى الاصل على واحد من النوبيين الذين كانوا مكلفين باضاءة مصابيح الشوارع بعد المغرب . وكان من عاداتهم ان يجروا سريعا فى الشوارع ليؤدوا عملهم بسرعة . ولذلك قيل « عفريت الليل بسبع رجلين » . ولكننا عرفنا عفريت الليل فى طفولتنا كائنا قريبا من البعبع وابو رجل مسلوخة ، من الاشياء التى تذكر لتخويف الاطفال . قارن احمد امين ، المرجع السابق ، صفحات ١٧ ، ٩١ ، ٢٨٦ .

ثالثا ــ الجن وبنى الانسان :

من الطبيعى بعد هذا المسح الاولى لانواع الجن المختلفة فى المعتقد الشعبى • أن نقف على أوجه الاتصال المباشر بين هذه الانواع العديدة وبين الناس • ما هى طبيعة العلاقة بين هذه الكائنات وبين الناس : هل هى تسير فى اتجاه واحد : الايذاء والاضرار ، أم المساعدة والتيسير ؟ الحقيقة أن العلاقة تتضمن هذه الجوانب جميعها ، ويتوقف ذلك فى كل حالة على موقف الناس منها : اجابتهم لمطالبها ، مراعاتهم لحقوقها وخصائصها •• الخ من ناحية ، وعلى طبيعة هذه المخلوقات فوق الطبيعية من ناحية أخرى • اذ أن بعضها جبل على الاضرار ، بل ان رسالته الاولى الايقاع ببنى الانسان ، وانزال الكوارث بهم أينما وجدوا ، ومهما كان سلوكهم • وستزداد هذه الجوانب اتضاحا من استعراضنا التالى :

الموقف العام للعفاريت من الناس هو السخرية بهم ، والعبث بهم لمجرد العبث • والصورة العامة هنا : كائنات فوق طبيعية ذات قدرات خارقة ، على جانب قليل من الايمان والالتزام بالقواعد الاخلاقية (بمفهومها البشرى) ، تعانى الملل فى كثرتها الهائلة ، فتتراهن على ايقاع الأذى ببنى الانسان ، أو حمل أحدهم على سلوك مسلك معين •• الخ(٤٢) • وفى بعض الاحيان يتسع بند اللهو بالانسان هذا ليشمل تخويف الانسان بصفة عامة باعتباره هنا نوعا من الهزل والسخرية بالناس • فما أن يجن الليل حتى تنتشر الشياطين متعرضة للصبيان ، ولضعاف الايمان غير المسلحين بالقرآن ووسائل التحرز الاخرى من العفاريت (كالملح ، أو الشب ، أو الحديد • الخ) • ويدخل تحت هذا كذلك سكن الجن لدورة معينة ، واتيانهم بعض الافعال الغريبة ، أو اعتداؤهم على حياة ساكنيها حتى تظل مهجورة •

---

(٤٢) انظر سهير القلماوى ، الف ليلة وليلة ، ص ١٣٨ ، وحكام المرجان ص ص ٩٨ ــ ٩٩ ونموذج آخر ص ١١٥ .

من هذا ما أورده وليم لين من أن « العامة » يؤكدون أن أشرار الجن كثيرا ما يعتلون الاسطح والشبابيك ، ويقذفون بالقراميد والحجـــارة فى الشوارع والاغنية • ويحكى لين فى ذلك : « وقـــد أخبرت من أيام قليلة بحادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع فى القاهرة أسبوعا بأكمله، اذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد • وقد ذهبت الى مكان هذه الدعاية الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ، ولكن قيل لى عند وصولى ان الرجم انقطع • ولم أجد أحدا أنكر قذف القراميد ، أو شك فى أنه من أعمـــال الجن • وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم: « الله يحفظنا من شر أعمالهم »(٤٣)•

والحكايات المتداولة بين الناس عن مثل هذه الموضوعات أكثر من أن نحصيها هنا • الا أن هذا الاستهزاء قد يجاوز المدى ويتحول الى نوع من الاضرار : اذ يعتقد أن العفاريت التى تظهر ليلا تحاول أن تقتلع عيـــون الناس من محاجرها •• الخ(٤٤) •

هذا نوع من الصـــلات التى يمكن أن تقـــوم بين الجن وبين بنى الانسان : ليست شرا خالصا كما أنها ليست خيرا مطلقا • ولكن هناك علاقة من نوع آخر لا يعود على الانسان من ورائها سوى الضرر البين • ذلك عندما يحل الجن فى جسد الانسان ، أو بالتعبير الشعبى « يصرعه » أو « يلبسه » • وفى هذه الحالة يصير الانسان مصروعا أو ملبوسا • وهـــو بذلك نوع من المرض الذى تحتشد كتب السحر ، والوصفات الشعبية بالعديد من أساليب علاجه وتجنب وخيم عواقبه(٤٥) • والقاعدة أن يبذل

---

(٤٣) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ص ١٩٨ — ١٩٩ .
(٤٤) بلاكمان ، ص ١٩٣ وص ٢٠٢ ، وتسبندن ، ص ٦ وما بعدها .
(٤٥) قارن على سبيل المثال : آكام المرجان ، ص ص ١٠٦ — ١٠٧ حيث يستعرض المؤلف الانواع المختلفة والدوافع المتعددة وراء «صرع الجن للانس»، وكذلك سهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، وأى كتاب سحرى يمكن أن يقع تحت يدنا ملىء بوصفات لعلاج المصروع .

الناس قصارى جهدهم « لاخراج » هذا « العارض » من الجسم ويظلوا فى اصرارهم حتى تغادر تلك الروح الجسم ويشفى الشخص • والا فهناك احتمال أن تظل تلك الروح لابسة الجسم ، ولكن دون أن تعمد الى ايذاء صاحبه أساسا ، أو على الاقل تقدم له نوعا من الفائدة بأن يتحول الى ولى ينبىء بالغيب ، ويخبر عن الغائب والمفقـود ، ويصـف الدواء للمريض ويخاطب الارواح •• الخ(٤٦) •

تلك هى علاقة « المؤاخاة » بين الجن وبنى الانسان • وأركان هذه العلاقة الاساسية أن يقيم انسان معين علاقة ثابتة (= أخوة) مع أحـد الجن ، ويجيب لهذا الجن بعض المطالب ويفى ببعض شروط الصداقة فى مقابل أن يقدم الجنى له المعلومات المطلوبة والحلول المختلفة لما يعين له من مشكلات • وعندما يحل الجنى فى جسم هذا الانسان لابد وأن يصاب هذا الشخص ببعض الاعراض الهسترية التى تنبىء المحيطين به بأن الروح قد حضرت • ومن ثم يسـتطيعون مخاطبتها ، وهنـا ينطق الشـخص « الملبوس » بصوت غير صوته المألوف(٤٧) •

ومن نماذج القصص الشهيرة عن علاقة المؤاخاة بين جن وانسـان تلك التى تحكى عن قيام علاقة وثيقة بين أحـد الصـالحين وجنى مؤمن يحرسه ويتخذ هيئة قط أو غير ذلك • والجن ــ القط ــ يلازم الرجـلَ

---

(٤٦) خصص هانز فينكلر أحد مؤلفاته بأكملها للحديث عن الارواح التى تلبس الناس قارن فى هذا ص ٨٢ وما بعدها من هذا المؤلف :
H. Winkler. Die reitenden Geister der toten; Stuttgart; 1930; pp. 82 ff.

وكذلك تسبندن ، ص ٩ . كما نعثر فى أحكام المرجان (ص ١٣٨) على صورة رسمية مفصلة منسوبة للتراث (أطرافها عمر بن الخطاب وأبو موسى الاشعرى وامراة فى جنبها شيطان يتكلم) تنبىء فيها الجن بالغائب والمجهول ، وتؤيد المعتقد الشعبى الشائع .

(٤٧) برغم الانتشار الواسع لظاهرة الملبوسين هذه فاننا نسمع من جانب رجال الدين طعنا فى صدق أقوال من يزعمـون أنهم يرون الجن عيانا ، استنادا الى الآية الكريمة : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » قارن كذلك أحكام المرجان ، ص ٢١ حيث يستعرض المؤلف مزيدا من الشواهد .

المؤمن دون طلب أو سؤال من جانب الرجل الصالح، بل ان شرط استمراره فى خدمته ألا يعرف ذلك الرجل أن ذلك القط جن وليس قطا حقيقيا ، فاذا عرف الانسان حقيقة الجن اختفى ذلك الاخير فى الحـــال • وهى موتيفة شائعة فى كثير من صور المعتقـــد الشعبى التى تتردد فى القصـــص وفى الاساطير وغيرها • ويروى وليم لين حكاية من هذا النوع نقلا عن أحـــد المشايخ يقول فيها :

« وقد روى الشيخ خليل المدابغى ، وهو من أشهر علماء مصر وقد ألف كتبا عديدة فى مختلف العلوم ، وتوفى فى سن متقـــدمة أثناء زيارتى الاولى لمصر ، الحكاية التالية : « كان له ، كما يقول ، قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلته • ففى منتصف احدى الليالى ســـمع طرقا على باب داره ، فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف : « من ؟ » فأجابه صوت : « أنا فلان الجنى (وذكر اسما غريبا) افتح الباب » فقال قط الشيخ : « ان المزلاج قرىء عليه اسم الله » • فقال الآخر : « اذن اقذف لى رغيفين من الخبز » فأجاب القط : «انسلة الخبز سمى عليها» فقال الغريب : «حسن ، أعطنى على الاقل جرعة ماء » • ولكنه رد عليـــه بأن وعاء الماء محفـــوظ بالطريقة نفسها • فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعا وعطشا ؟ فأشار عليه القط أن يذهب الى باب الدار التالية • وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد • وفى الصباح التالى ، غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائما ، فأعطى القط نصف الفطيرة التى كان يفطر بها ، بدلا من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه اياها • ثم قال له : « يا قطى ، أنت تعلم أننى فقير ، فجئنى اذن ببعض الذهب » • فاختفى القط فى الحال بعد هذا الكلام ، ولم يره الشيخ بعد ذلك(٤٨) •

الا أنه قد يحدث أحيـــانا ألا تكون الصـــلة بين الانســـان والجنى مستقرة هكذا ، أو على الاقل فى عالمنا المشهود • فقد تختطف الجن انسانا

---

(٤٨) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

ليعيش بينها ، ويستقر فقرة قد تطول لسنوات، وقد لا يعود على الاطلاق. كما يمكن أن تدوم رحلته ليلة واحدة فقط وهكذا . وقصص ألف ليلة وليلة مليئة بشواهد من هذا النوع محتشدة بكثير من التفاصيل عن حياة هؤلاء الجن فى مجتمعاتهم ، وعن خلقهم فى التعامل وما الى ذلك .

كذلك يمكن أن تقوم بين انسان ــ أو انسانة ــ وجنى علاقة جنسية عابرة أو مستمرة . ولا زالت كثير من القصص عن هذا النوع من الاتصالات متداولة معروفة حتى أيامنا هذه(٤٩) .

وهناك الى جانب هذا كثيرا من أوجه تدخل الجنى فى حياة الانسان بالمضايقة مثل تسليط الهواجس عليه (ما يعرف باسم الوسوسة) ، ويقال « فلان موسوس » أثناء تأديته العبادات ، أو تسليط الاحلام المكروهة المزعجة عليه .. (٥٠) .

ولكى يضمن الانسان سيرا صحيحا لهذه العلاقة بينه وبين الجن ، كان عليه أن ينتبه أشد الانتباه الى مراعاة طائفة من القواعد وتجنب كثير من المحاذير . من هذا أنه لما كان العفريت (أو الجنى) روحا ثانية لصاحبه ، ولما كان يرتبط ــ خاصة فى حالات الموت فى حوادث ــ بدم المقتول ، كان من الضرورى الاعتناء بانهاء اجراءات الدفن على الوجه الشرعى السليم كى يستريح العفريت ، ويكف عن التعرض للناس(٥١) .

---

(٤٩) اشرف كاتب هذه السطور على عملية جمع التراث الشعبى من عادات ومعتقدات متصلة بدوره حياة الفرد من بعض مناطق الجمهورية فى شتاء ١٩٦٩/١٩٧٠ قام بها طالبات وطلبة قسم الاجتماع بكلية آداب القاهرة . وقد تضمنت أسئلة الدليل الذى جمعت بواسطته المادة سؤالا عن « قصص حمل غير عادية » (السؤال رقم ٢١ ويقول : « هل هناك قصص ونوادر عن حالات حمل غير عادية ؟ وما تفسير ذلك ؟) وقد سجلت فعلا اكثر من قصة عن تبرير عمليات حمل غير شرعية (فى نظر اصحابها غير طبيعية لانهن آنسات أو أرامل ولم يمسسهن بشر !) . وتفسيرها بحدوث اتصال جنسى قهرى مع جنى . وفى بعض هذه القصص تربص شقيق المرأة للجنى وتمكن من حرقه ، وتحول بعد ذلك الى فردة حذاء بال .

(٥٠) انظر مثلا آكام المرجان ، ص ١٨٢ وص ١٩٢ .

(٥١) قارن فى هذا : بلاكمان ، ص ٩٧ ، وتسبندن ص ٦ ، وكذلك الحاشية رقم ٢٨ من هذا البحث .

بالمثل يمكن تجنب « لبس » الجان لاحد الاشخاص ، لان هذا يحدث غالبا اذا ما كان أهل هذا الشخص قد نذروا له نذرا معينا ، ولم يوفوا به • فلو اهتم الشخص بالوفاء بالنذر لما حدث هذا • (على أساس أن النذر بمثابة ضمان لبسط الولى المنذور له حمايته على المنذور من أجله • فعدم الوفاء بالنذر يرفع عن الشخص حماية هذا الولى ، وبالتالى يمكن للجنى أن يجد اليه سبيلا بسهولة) •

كما أن على الانسان أن يعامل الجنى الذى يظهر له فى أى صـــورة كانت (ويدرك أنه جنى) برفق وحذر ولا يقسو عليه أو يؤذيه ، وبذلك يسلم من شره • ويحكى بادويك من قرية ســبك (مركز منوف) الحكاية التالية :

« كان هناك راجل جدع قوى ما كانش واحد زيه فى سبك (احدى قرى المنوفية ، وهى التى جمعت منها هــذه الحكاية) ، وقال لى : « أنا شفت فرخة من الجان وأنا كنت رايح الغيط بالليل فى آخر الشهر والدنيا عتمة ، وقابلنى جنى شكله كلب كبير ، وقلت له : عاوز منى ايه ؟ كان عو بص لى وعينه أد كده (وأشـــار الراوى بيديه ليدل على حجم صحن الفنجان) • فلميته وشلته فى حضنى لحد ما وصلته الغيط وحطيته على الارض • وبعدين ما شفتوش ولا حاجة علشان خدته فى حضنى • ولكن لو كنت ضربته والا عاملته بشدة كان موتنى » • (مقال بادويك ، ص ٤٣١)• وهذا بطبيعة الحال مجرد نموذج للأخطار التى يمكن فى رأى المعتقـــد الشعبى أن تترتب على عدم مراعاة الاصول السليمة فى العلاقة بين الجنى وبين الناس ، والتى تؤدى الى هذا الاضطراب والايذاء •

وقد تظهر الجنية أو الجنى فى هيئة انسان يتعامل مع الانسان على نحو معين ينطوى على نوع من الاختبار ، وتتوقف طبيعة العــلاقة التى تنشأ بينهما على حسن تصرف الانسان مع الجنى •

ويشير بادويك الى أن من أشهر الحكايات الشعبية المتداولة فى منطقة الدلتا كلها تلك التى تظهر فيها الغولة على هيئة امرأة عجوز تتصرف فى بئر

سحرى ، تسقى منه من تشاء • وعندما ترسل الفتيات اليها لاقتراض المنخل (لنخل الدقيق) ، فانها تجرى لكل منهن اختبارا لمعرفة طباع البنت وشخصيتها ، وذلك بأن تأمر كلا منهن بأن « تفليها » (أى تمشط شعر المرأة العجوز لتستخرج منه القمل وغيره من الحشرات الموجودة به) • والعادة أن تظهر بعض الفتيات أدبا جما فى هذا الموقف ، فتؤدى العمل عن طيب خاطر ، وتظهر سعادتها ، ولا تبدى اشمئزازا من قذارة شعر العجوز أو كثرة الحشرات الموجودة فيه • تلك الفتيات تكافئهن العجوز بأن تأمر البئر المسحور أن يعطيهن ملابس جميلة مزركشة وعقودا من الذهب ••• الخ • أما الفتيات اللائى يفشلن فى هذا الاختبار فتعاقبهن العجوز (الغولة) بأن ترسلهن بعيدا حيث يتحولن الى ثعابين وسحالى وضفادع ، أو (فى متغيرات أخرى من الحكاية) يعيش فى أماكن تكثر فيها مثل تلك الحيوانات الضارة المخيفة • ففى هذا المثال تظهر الغولة فى صورة ساحرة عجوز فى هيئة بشرية ذات شعر أبيض منتشر فى غير نظام(٥٢) •

وفى بعض المواقف يمكن للانسان أن يستنجد بأحد الارواح (أو الجن الطيبة) لكى يخلصه من مأزق انسانى عادى كظهور قطاع الطرق له مثلا . كما يحكى بادويك فى القصة التالية :

« قالت لى ستى : انها كانت ماشية فى الجبل وبس واحدة ثانية وياها (وبرفقتها امرأة أخرى فقط) وقابلم حرامية طالبين فلوسهم • وخافوا كثير علشان كانوا ستات والحرامية رايحين يضروهم • وصرخت ستى بصوت عالى « يا مارى جرجس ! يا مارى جرجس » • وحالا جه بينها وبين الحرامية واحد لابس لبس أبيض فى أبيض وراكب حصان أبيض • فخافوا الحرامية منه وهربوا • فكانت ستى عاوزة تبوس ايده ، ولكن هوه مش راضى ، قال : « معلهش » • وكلمها باسمها وبعد نص ساعة راح على غفلة وما شفتوش ولا حصانه » • (بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠) •

---

(٥٢) انظر بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .